

الفصل الثاني

عوامل نشأة الواقعية

يجب أن نشير بادىء ذي بدء إلى أن المذاهب أو التيارات الأدبية لا يمكن أن تخلق من العدم على الإطلاق، فلا بد من أرضية وجو ملائم لنشأة تيار أدبي ما. وإنه لمن السذاجة الاعتقاد بأن الكتاب أو النقاد يستطيعون أن يضعوا قواعد وأسس مذهب أدبي ما دون مراعاة للملابسات الحياة ولظروف العصر الفكرية والنفسية والاجتماعية والتاريخية.. وعلى سبيل المثال فإننا لا نستطيع أن نتصور نشأة المذهب الرومانتيكي في معزل عن ذلك التيار الفلسفي الذي يمثله «جان جاك روسو» بثورته على جميع القيود والأغلال التي تكبل عواطف الإنسان وتكبح جماح شعوره وإحساسه الطبيعي الفطري^(١)، وعن تلك الثورة الفرنسية، وعن تلك الهزيمة التي مني بها «نابليون بونابارت»، وما ولدته في نفوس الشباب من يأس ومرارة وتمرد وبرم بالحياة آنذاك. ذلك أن شباب الجيل كانوا يعقدون آمالاً عريضة على قائدهم «العظيم»، ولكن آمالهم تخيب فجأة، ويتحطم طموحهم، ولم يجدوا مندوحة عن اجترار الألم على نحو جعل بعض النقاد يعتبرونه «مرض العصر»^(٢).

هذا بالإضافة إلى دور العوامل الاقتصادية والأدبية وغيرها، مما يؤلف المناخ الضروري لظهور الرومانتيكية^(٣).

وإذا كانت الكلاسيكية في القرن السابع عشر تستوحي الآداب القديمة وتتميز بالزعة الإنسانية العامة فتعرض الشخصيات التي لا تستقطب سلوك الناس الاجتماعي والأخلاقي في ذلك القرن، مما يوهم بأن النقاد والشعراء هم الذين قصدوا إلى خلقها^(٤)، فإن هناك في الحقيقة تربة خاصة ومناخاً معيناً